على طريق الأصالة

(٤٩)

المسلمون والقصة الغربية

أنور الجندي

القصة الغربية والمجتمع الإسلامى

• القصة الغربية اليوم تطبيق عملى لمذهب التحليل الفرويدى والتفسير المادى ونظريات نسبية الأخلاق والتحلل.

• أولا المسلمون والقصة الغربية.

أصبح الأدب اليوم هو المدخل الرئيسى والأكبر لمؤامرة التغريب والغزو الثقافى عن طريق القصة والشعر الحر والمسرحية والحوار والدراما بعد أن استخدم فى كل من الماركسية والوجودية والرأسمالية مدخلا لخدمة هذه المذاهب، وما يزال كتاب التغريب يطرحون فى أفق الفكر الإسلامى والأدب العربى تصورات وافدة خاصة فى مجال الحداثة والبنيوية والواقعية الاشتراكية وهذا أمر متصل تمام الاتصال بالتصور الإسلامى الذى يتطلب منا تجلية موقف الإسلام الذى يملك نظرية أساسية فى الأدب والفن وله مفهوم أصيل للقصة والمسرح والشعر ويطالبنا بالنظر فى هذه الطروحات الوافدة بالحذر واليقظة من حيث أن الأسس التى تقوم عليها الآداب الغربية (غربية وماركسية ويهودية) تختلف اختلافا أساسياً عن مفهوم الإسلام فى مجالات ثلاث :

(١) فى مجال التوحيد.

(٢) فى مجال الإنسان ومسؤوليته .

(٣) فى مجال البعث والجزاء والحساب .

والمفاهيم الغربية تقوم على أساس تصور مختلف لذات الله تبارك وتعالى فهو رب الجنود فى اليهودية ، وهو ثالث ثلاثة فى النصرانية وهو قد مات فى مفاهيم الغرب (نيتشه و أوجست كونت ومدرسة الجدلية المنطقية) أو أصبح ولا حاجة للبشرية اليه بعد أن بلغت رشدها فى نظر بعض المدارس الغربية أو (لا إله والحياة مادة) فى النظرية الشيوعية أو أن الإنسان يخلق إلهه فى مدارس أخرى الخ على النحو الذى تكشف عنه الكتابات والاقاصيص والشعر الغربى (بشقيه) .

أما الإنسان فهو فى مفهوم الأدب الغربى حيوان خاضع للجنس (فرويد) أو للطعام (ماركس) وأنه قطيع فى المجتمع ليست عليه مسؤولية فردية فالمسؤولية هى مسؤولية المجتمع (دوركايم) وان الجريمة قطرة ، والأسرة دخيلة عليه وان البشرية كانت تعبد الطوطم ثم الصنم ثم ارتقت إلى عبادة الآلهة ثم الآله الواحد وهذه كلها مفاهيم باطلة لا يقرها الإسلام) ولكنها هى القواعد التى يقوم عليها الأدب الغربى .

أما البعث والجزاء فهذه مسألة تثير السخرية فليست الحياة

إلا هذه الحياة الدنيا بمطامعها و أطايبها ولذاتها وعلى الإنسان أن يسرع فيقتنص كل ما يستطيع قبل فوات الأوان.

فى ضوء هذا التصور الغربى تأتى الفنون الأدبية وفى مقدمتها القصة.. هذه القصة تقدم لنا اليوم بأقلام عربية وهى لا تمثل حقيقية لمشاعرنا أو مجتمعنا، وإنما هى قصة غربية بمواطنها وأحداثها وان اختلفت أسماؤها وأماكنها وهى من الفنون الدخيلة على الذوق الإسلامى و المختلفة مع الإنسانية نشأت تحت ضغط الظروف ولأداء رسالة معينة، ولإبلاغ العقل قضايا معقدة وليس فى الإسلام ما يدعو إلى هذا،

القرآن والقصة

وهى تستعمل وسائل الخداع والإخفاء والرمز وساحات الخيال وحجب بعض الحقائق حتى يقنع البسطاء بالغاية التى تدعو إليها ومن هنا فإن القرآن الكريم ما عرض لكلمة (قصة) إلا وأضاف إليها وصفا قوامه الحق: أى الصدق والواقع، فى اتجاه واضح هو أن يكون القصص عبرة لأحداث الماضى لا سرداً لوقائعه، بعيداً عن أسلوب الحوار أو تقصى التفاصيل، أو الإغراق فى وصف

الاماكن و الثياب وخاصة كراهية الالحاح على التفاصيل و السؤال عنها وهذا مما عرف عن أهل الكتاب من الاسراف فيه والتعلق به على النحو الذى يستشرى اليوم فى كتابة القصص ولا ريب أن تركيز القرآن على (القصص الحق) (وأحسن القصص) كما قال الحق تبارك وتعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) هو تأكيد بأن كثيراً مما قدمته الكتب القديمة مشوب بالباطل ، قد تداخلت فيه الأسطورة والحقيقة ، وغلب عليه طابع التجسيم الذى هو الرمز الاكبر لطفولة الفكر البشرى .

ومن هنا فان القصه (الغربية) التى يتطلبها التغريبيون فى الادب العربى يجب أن تكون قائمة على الجريمة أو الفضيحة أو الخيانة أو المطاردة أو الاغتصاب ، و إلا فقدت عقدتها وكيانها حسبما يقول هاملتون جب فى تقريره عن القصة :

(ما دامت الحياة الإسلامية محافظة على تقاليدها الموروثة فلا ينتظر أن يكون للقصة مستقبل) ويفسر هذا محمد عبد الله عنان بقوله (ان المجتمع الإسلامى لا يمكن متى بقى تطوره محصوراً فى المبادىء الإسلامية الخالدة أو فى التقاليد التى كانت أثراً لهذه المبادىء أن يظفر كتاب القصص العربى يوماً بمادة واسعة أو غزيرة كالتى تقدمها المجتمعات الغربية إلى كتاب الغرب)

وهكذا ينكشف زيف الدعاوى الباطلة التى يرددونها عن أن القصة فن رفيع وأنها ترمى إلى إصلاح المجتمع وعلاج مشاكله وآية ذلك أن (الدراما) لا يمكن أن تنشأ إلا من خلال وقوع المأساة ، فإذا سار المجتمع المسلم على هدى تعاليم الإسلام سقطت القصة الغربية الدخيلة على فكرنا ومجتمعنا . فالقصة التى يريدها التغريب ، ليست هى القصة الصادقة ولكنها القصة التى تقوم على الخيانة أساساً سواء فى العرض أو المال وأشهد المسلسلات المتفشية اليوم فى البلاد العربية كلها فى المساء تجدها تحمل هذا التصور ولا تخرج عنه فهى قائمة على الافتعال وعلى الاثارة التى صنعتها الصحافة فأصبحت (مزاجا) سوداويا قاسياً لا يحتمل الناس معه رؤية الأوضاع الطبيعية أو السوية . فمتمدة القصة الغربية المنقولة إلى أفق الأدب العربى سواء الرواية أو المسرحية أو غيرهما هى الصراع الحاقد فى المجتمع كأنما المجتمع كله مجموعة من اللصوص يسرقون بعضهم بعضاً ، يسرقون المال ويسرقون الأعراض ويسرقون كل شىء ويجدون لذة فى تعذيب الآخرين ، قسوة قلوب لا توصف ، وتطلع فى طمع إلى الحرام وتهالك على المتع والشهوات كأن النهاية فى الغد وكأنه ليس بعد النهاية حساب .

لقد نشأت القصة فى الغرب لتغطية التطلعات النفسية للطبقات الفقيرة المحرومة إزاء الثراء الفاحش وقد أريد بها إعطاء جرعة من

الخيال . وركز صانعوها على محور (الحب) فى الأغنية والحوار وكانت المرأة وجسدها وجمالها سلعة رخيصة فى سوق الخنا ووضعت عبارات الحوار على ألسنة من لا يصلح لها أو من لا تناسبه فى مؤامرة خطيرة واسعة الأطراف تقودها قوى تريد أن تضع الشر والجريمة والإباحة والاغتصاب على الألسنة كأمر مشروع لا عيب فيه دفعاً للبشرية إلى أن تعرى عواطفها وتعرى مواطن الإغراء حتى تصبح مع تداولها مقبولة غير ممنوعة .

فالحب الذى تقدمه القصة إسمه الحقيقى (الجنس والفعل الفاضح) . والصراع هو الصراع بين الزوجة التى أحلها الشرع والدين والعشيقة المحرمة ، ومذاهب الغرب تحرم تعدد الزوجات ولكنها تبيح تعدد الخليلات .

وتجرى القصة الغربية (العربية اللغة) وراء هذه المفاهيم وتحتضنها وتروج لها مع أنها مفاهيم محرمة فى الإسلام الذى نظم علاقات الرجل والمرأة تنظيماً كريماً يحول دون الزنا ودون الاغتصاب ودون الإباحية حيث أباح للرجل القادر جنسياً أن يتزوج بأربعة دون أن يقع فى جريمة الزنا أو الاغتصاب .

ولذلك فإن إغراق المجتمع الإسلامى بأعلالات المجتمع الغربى

من دور بغاء وخمر وعلب ليل ضرورة عند أعدائنا لتصبح القصة حقيقية واقعة .

إن الفكر الإسلامى الذى هو منطلق الأدب العربى لايقر القصة الأجنبية لأنها قصة داعية للفساد ويرى أنها فن دخيل لا يتفق مع الذوق أو المزاج الإسلامى ، إن الوجدان الإسلامى والعربى قد عبر عن نفسه فى أوعية أخرى وبأساليب مختلفة وكان له فى القصة موقف حاسم .

﴿ القصة الغربية حكايات وتلفيق ﴾

إن القصة بمفهوم الفكر الغربى هى تأليف الحكايات وتلفيق الوقائع واصطناع الأخبار المكذوبة التى يلفظها الكبت والظلم فتسمى سمعيها لإخفاء عارها وكذبها ، فإن ذلك مما ترفضه العقلية العربية الإسلامية وتشيح بوجهها عنه وتنكره لأنه وهم وهى تعيش فى الواقع ، ولأنه تعويض لايوجد فى أفق الإسلام ، فالمسلمون يواجهون الحياة مواجهة صريحة واضحة ويقبلونها على أسسها الصحيحة ويمارسونها على نحو صحيح متكامل . فقد أعطاهم الإسلام أنظف الرغبات ودعا إلى تحقيقها ، ووضع لها الضوابط والأطر الصالحة لذلك دون إسراف ودون امتناع وربط بين الرغبات المادية والأشواق الروحية .

ولم يجعل لعبادة الجسد والإسراف فى اللذات أو فى استباحة

الجسد أو الخمر أو الخنا ضرورة ، بل أنه أقام مجتمعه على أساس الفصل بين الرجل والمرأة ، وبذلك حمى النفس الإنسانية من الصراع والتسرب والازدواجية المصروعة التى تحاول أن تجد تعويضاً فى عالم الفن والقصة ، وبذلك حمى الإسلام النفس والعقل من هذه الدوامة التى لا تشبع ولا تنتهى ولا تكتفى بالواقع الإباحى بل تنشده مضاعفاً فى عالم الخيال .

والإسلام بواقعه وفكره وشريعته يحول دون الانشطار ودون قيام عالم الوهم ويحول دون وجود الحرمان الحسى أو المادى الذى تعوض عنه القصة . فإن إفساحه السبيل إلى تحقيق الرغبات الحسية بالزواج وإقامة نظام الزكاة الذى يحقق العطاء للمحتاجين دون تخلف محروم واحد من شأنه أن يقضى على هذا التزاوج بين عالم الحقيقة وعالم الوهم ، ولا يوجد فى مجتمع الإسلام مثل هذه النماذج التى تراها فى القصة الغربية .

لا يوجد مثلا (ديفيد كوبر فيلد) الطفل الذى مات أبوه فتزوجت أمه من رجل غليظ القلب على نحو لقى معه كل عنت وشقاء فلما ماتت أمه لجأ إلى العمل صغيراً ولقى القسوة فى معاملة الناس حتى اللصوص لم يشفقوا على طفولته وسرقوا ملابسه ونقوده .

هذه الصورة لا توجد فى المجتمع الإسلامى فالرحمة تحل فى كل مكان ولا يمكن أن تتجمع القسوة بهذه الصورة فى مكان ما ، إلا فى

المجتمع الغربي الذى يتميز بطابع (نيتشه) فى دعوته إلى قتل المحرومين وتدمير الفقراء والقضاء على المحتاجين ، أما المجتمع الإسلامى فإنه فى نهجه الإسلامى الربانى يجعل لهؤلاء مكاناً كريماً ويقرر لهم نصيباً مفروضاً ، ليس هو هبة ولا منحة ولكنه حق معلوم .

والنفس الإسلامية مفطورة على الرحمة والإحسان ، لذلك فإن عشرات من القصص لا يمكن أن تمثل إلا مجتمعا نفسه بجهامته وقسـاوته .

وكذلك الصورة الإباحية الصارخة القائمة على الخلاعة والترف البالغين والتى تمثل قصص تابيس ومانون ليسكو وغيرهما لا تمثل الوجدان المسلم ولا تتفق معه ، وإذا حاول كتاب الجنس أن يكتبوا ويظنوا أن ما كتبوه قد أصبح مقبولا فهم واهمون ، فإنما هى مرحلة الاستطلاع والانبهار التى سرعان ما تنطفىء وتحل محلها مرحلة التقييم والرجوع إلى الذات ، وآية ذلك أن جميع الأسماء اللامعة فى ميدان القصة قد تقهقروا مرة أخرى إلى مجال كتابة اليوميات فى الصحف بعد أن سقطت القصة الغربية وتجاوزتها الأصالة .

وإذا كان من حق الغربيين أن يقيموا عالما مواجماً لعالمهم الحقيق الفاسد المضطرب الذى يغرق الآن فى بحيرة آسنة من الإباحيات والسموم يتخذونه أسلوباً لحل قضاياهم ومعاملاتهم لأنهم فى الأساس ليس لديهم منهج ربانى فى شؤون المجتمعات وعلاقات الأفراد والناس ،

أما المسلمون فليسوا فى حاجة إلى مثل هذا العالم المواجه لأنهم يجدون فى منهجهم كل ما يكفل لهم السلامة والأمن ويحول بينهم وبين التمزق والشك ، وإذا كان العالم المواجه الغربى قد قام على الأساطير الوثنية القديمة وجددها ليجعل منها وسيلة للوصول إلى فروض فى مجال النفس (كما فعل فرويد) أو فى مجال الوجودية كما فعل سارتر فإن من شأنه أن يؤكد ظاهرة الهروب من الواقع الحى المعاش وان يزيدنا نحن المسلمين إلا ثقة بأن العالم المواجه هو عالم الوهم الزائف الذى يحاول أن يرد الناس إلى حياة الإباحة الجاهلية القديمة حيث لم يكن للعرض قيمة ولا للأخلاق التزام ، وحيث تبدو الحياة كأنما هى سوق من أسواق الرقيق والبغاء وحيث نرى القصة تنبعث من نظرة الحيوان المجنون المتهافت على الأجساد والطعام المتدافع إلى الفجور والإثم .

ولا ريب أن القصة الغربية اليوم إنما تدفع إلى تحقيق نفس الأهداف التى عملت لها مذاهب العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق أو هى التطبيق العملى لمذهب التحليل الفرويدى والتفسير المادى ونظريات نسبية الأخلاق والتحلل مجازة فى صورة واقع ، لتحقيق الهدف الكبير الضخم الذى تسعى إليه اليهودية التلمودية من تحطيم الأسرة وتدمير المجتمعات ونشر الإباحة وانكار البعث والجزاء وإقحام العقول والنفوس فى عوالم وهمية خادعة للتأثير عليها وإذلالها وسحق كرامتها وإيمانها وهدم عقائدها .

ثانياً : المسلمون والقصة الإسلامية .

تقوم القصة الإسلامية أساساً على مفهوم الفطرة وهى بمفهوم القرآن الكريم والسنة النبوية مستمدة من الواقع الملموس ، وما زال مفهوم القصة فى اللغة العربية والإسلام هو الاخبار بالواقع المجرد وتتبع آثار الحقيقة دون تلفيق أو اصطناع الأخبار المكذوبة وقد قدم (القرآن الكريم) القصة الصادقة وهى من خلال نصوص القرآن الكريم تقوم على (الحق ـ الواقع ـ الحسن ـ عبرة التاريخ) .

- نحن نقص عليك أحسن القصص .
- إن هذا لهو القصص الحق .
- نحن نقص عليك نبأهم بالحق .
- كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق .
- ذلك من أنباء القرى نقصه عليك .
- إن الحكم إلا لله الحق .
- لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى.

كذا تأتى كلمة القصة مستمدة من الحق والواقع بينما هى فى اللغات الأخرى مستمدة من مدلول (الخرافة) فكلمة STORY ترجع إلى الكلمة اليونانية HISTORIA التى تعنى الخرافة والتى عرفها العرب قبل الإسلام بقولهم (أسطورة) وجمعها أساطير ، وقد أطلقت فى

القرآن الكريم على الخرافات والخيال المسرف المبالغة ، ومن ثم فإن المسلم لا يتصور الصراع بين الإنسان والقدر ، وصراع الإنسان مع الله أمر لا يفهم ولا يقبل مع قاعدة التوحيد التي هي قمة العقائد في الإسلام ، لذلك فإن المسلمين لم يجدوا أنفسهم في يوم من الأيام في صراع مع القدر ، كذلك فإن الإسلام لا يقر الصراع بين الإنسان والخطيئة لأن المسلم غير مرتبط بخطيئة آدم وهو يؤمن بأن خطيئة آدم هي مسئوليته وحده ، وإن الله غفر له بل واجتباه بعد ذلك ، ولذلك فإن البطل في الإسلام لا يبدو في صورة المتحدي لإرادة الله تبارك وتعالى .

والإنسان المسلم هو في سلام مع الله الواحد الأكبر ومتقبل القدر خيره وشره ، والوحدانية لا تحمل الشرك ، وليس هناك أرباب في الإسلام أو أنصاف أرباب .

وكذلك فإن من شأن الإسلام صياغة المسلم على وضوح الرؤية والاستمداد من الفطرة والقدرة على التعبير الصريح دون أن تكون هناك عوامل حائلة تمنع كل ذلك من مسألة الرمز أو التأويل أو الشك أو التجسيم ، ولنقاء المسلم وطهارته فهو لا يقبل مفاهيم الإباحية والوثنية واللهو والتحلل التي يجدها في الآداب الغربية ، وقد استعاض الأدب العربي عن تلك العقد في القصة الغربية ببراعة الحوار وفصاحة اللسان ودقة التأملات والمرح البريء والبساطة والسماحة والبشر

وإشراقة الأمل التى لا تجـدها فى القصة الغربية نتيجة سيطرة مفهوم (الخطيئة) عليها ، وكذلك فإن المفهوم الإسلامى للأدب والقصة يتحرر دائماً من الأساطير والخرافات ولا يقرها .

(المقارنة بين القصة الإسلامية والقصة الغربية)

إذا أردنا المقارنة بين القصة الإسـلامية والقصة الغربية وجدنا ما يأتى :

• أولا : —

الإسلام يدعو إلى تجريد العاطفة لا إلهابها ويدعو إلى تصوير الفطرة وإلى عدم التركيز على حالات الضعف البشرى .

• ثانياً : —

ليس فى الإسلام ما يدعو إلى الإخفاء بالرمز أو الإغراق فى الخيال أو المبالغة ، ذلك لأن الأفق فى العالم الإسلامى مشرق مفتوح والمفاهيم واضحة صريحة ، والنفس الإسلامية لا تخفى شيئاً ، وكذلك فلا غموض فى العقيدة الإسلامية يتطلب إقامة سامر لإقناع الناس .

• ثالثاً : —

لأن المسلم يؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو ولى الأمر كله فهو يقبل قضاءه ويرضى به من غير بأس وإذا أصابته سراء شكر وإذا أصابته ضراء صبر ، وهذا المفهوم يحول دون قيام ما يسمى بالمأساة

أو الصراع مع القدرة الإلهية فعقيدة المسلم لا تضعه أبداً فى صراع مع القدر .

* رابعاً : ـــ

لأن المسلم يؤمن بالمسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى فإنه لا يقر ما هو غير أخلاقى من أمور الخيانة الزوجية أو الإباحيات أو قبول ما يسمى صديق الأسرة أو تبادل الزوجات أو الخيانة .

* خامساً : ـــ

لأن المسلم يؤمن بالرحمة فإنه لا يقبل النهايات القاسية أو المؤسفة لليتامى والفقراء أو صنوف الظلم أو الخداع أو استلاب العفاف أو نهب المال أو سرقته أو قتل ما حرم الله .

* سادساً : ـــ

لا يعترف الإسلام بالصراع المأساوى الذى هو اب القصة الغربية ذلك لأن البطل المأساوى الذى هو فى صراع مع القدر ، بينما الإنسان المسلم فى سلام مع الله الواحد الأكبر وفى إيمان بالقدر لا يحول دون السعى وإن كان يحول دون المصارعة أو الصراع .

ما أعظم الفوارق فهو فى استجابة النفس المسلمة للأحداث من خلال القيم الإسلامية القائمة على الأخلاقية والأمانة وحماية العرض

وغض الطرف بينما تركز القصة الغربية على الخيانة الزوجية والحب بمفهوم الجنس وما له من آثار بعيدة فى علاقات الرجل والمرأة والآباء والأبناء .

ويرجع ذلك إلى قيام الأدب الغربى والقصة الغربية على نظرية فرويد والتفسير المادى للتاريخ ومفاهيم الوجودية التى لا تعترف بالمسئولية الفردية والجزاء الأخروى ، وخضوع القصة الغربية لمفاهيم الفلسفة المادية (إن الإنسان حيوان ، سيطرة الجنس ، غلبة المطامع المادية) فقد خضعت لتصوير الجريمة الخلقية والاغتصاب والغواية والإغراء وافتعال الحدث وقيامه على العنصر الشهوانى وعلى الجريمة والخيانة ، وهدف هذه القصة فى الغرب هو إعطاء الشعوب جرعة من الخيال للتعويض عن الواقع السيء وإشغالهم عن الحاضر المظلم ، وقد اعترف كثير من الباحثين أن القصة المكتوبة بالعربية على النحو الغربى إنما تمثل فناً دخيلا لا يتفق مع الذوق ولا المزاج ولا القيم الإسلامية ، فلكل أمة مزاجها وعقيدتها وطابعها ويجب أن لا يخضع الأدب فى أى أمة لأسلوب مغاير وافد وإنما يجب أن يستمد من قيمه وعقائده الأصيلة .

(٢)

مسئولية المجتمع والأخلاق والقيم

تتطلب إعادة النظر في بناء القصة

أعتقد أننا فى حاجة كبرى فى هذه المرحلة من حياة أمتنا أن نعيد النظر فى بناء القصة ، بعد أن مضى أكثر من سبعين عاماً على صدور قصة (زينب) للدكتور محمد حسين هيكل والتى يعدها مؤرخو الأدب أول قصة عربية تصور المجتمع المصرى (العربى الإسلامى). ذلك لأن القصة التى كتبها كتابنا خلال هذه الفترة لم تكن فى حقيقتها إلا إطار غربى بمضمون من واقع المجتمع ، يقوم فى الأساس على التصور الغربى للأحداث ويستمد منطلقاته من هدف وافد مستمد من وجهة بعيدة تماماً عن قيمنا وأخلاقنا وعقائدنا ومفهومنا للشرف والعرض والكرامة والعلاقات بين الرجل والمرأة على النحو الذى رسمه لنا الإسلام (وجاءت به كل الأديان المنزلة) .

فقد كانت هذه المرحلة التى بدأت فيها كتابة القصة فى بلادنا مرتبطة بتيار خطير ظهر فى أوروبا يرمى إلى تحقيق أهداف الماسونية فى هدم قيم الخير والأخلاق ونشر فوضى الجنس وتمزيق العفة وتحبيب المنكر إلى الناس والاستهانة بالقيم والحدود والروابط الذى رسمها الدين الحق .

وقد نما هذا الاتجاه واشتد عوده من خلال مقررات كثيرة رسمتها بروتوكولات صهيون ومذاهب العلوم الاجتماعية التي جاء بها (دوركايم وليفي بريل) والتي تنكر الفطرة وتدعو إلى الإباحة ومفاهيم (فرويد) في اعتبار الجنس مصدراً لحركة الإنسان والمجتمعات فضلا عن مفاهيم دارون التي تبنتها هذه الدعوات من القول (بحيوانية الإنسان) وما تتصل بخضوعه للقمة العيش والجنس، فضلا عن السخرية بكل القيم الثوابت وإذاعة دعوى التطور المطلق ونسبية الأخلاق.

في ظل هذه المفاهيم نشأت القصة التي كتبها تيمور وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وغيرهم فجاءت كلها عارية من كل القيم، كاشفة عن الضعف البشري، تتناول العلاقات الجنسية على نحو جريء لم يعرفه المجتمع المسلم أبداً.

وكان ذلك دعوة إلى الكشف والتحلل ومحاولة لإعطاء الأجيال الشابة من البنين والبنات (شرعية) هذه العلاقات للانطلاق في الطريق الخطر.

وإذا كان هذا الاتجاه تقليداً للتيار القصصي الغربي، أو موجهاً بهدف فقد كانت القصة لا تعدو أن تكون قصة مترجمة تتغير أسماء أبطالها وبلادها مع بقاء (التصور الاجتماعي) والتصرفات في أمور الحياة غربية لا تمثل الطابع العربي الإسلامي في مواجهة الأمور. ومن هنا ظلت القصة غربية وافدة حتى جاء الذين خ موا المطريات

ماسونية ترمى إلى تقديم الصورة القبيحة المنقولة من شظايا ووقائع عابرة وأحداث غريبة على أنها هى صورة المجتمع الذى هو برىء منها تماماً ، بل لقد ذهب قصاصونا إلى أخطر من ذلك فقد جعلوا من بعض الأحداث الفردية المتفرقة المتباعدة ، جعلوا منها ظواهر اجتماعية ثابتة وكانوا فى ذلك يتوافقون مع أهوائهم الشخصية وبيئاتهم الأصلية وحتى يجدون فى أنفسهم إحساساً بأن هذه الصورة ليست فردية ولكنها صورة المجتمع كله وكان هذا على حساب أخلاقيات المجتمع ، بل لقد ذهب الأمر إلى أبعد من ذلك ، فقد كشفت الأبحاث عن مدى الأخطار التى لحقت بالأسر والمجتمعات وفتيات الأسر نتيجة قراءة هذه القصص والظن بأن ذلك الأمر الخطير الذى يقذع الأعراض ويذهب إحصانها هو أمر ميسور مقبول .

ولقد تواكبت على هذه الظاهرة كتابات هؤلاء القصاصون جميعاً الذين قدموا إلى الغرب صورة مزريه لمجتمعنا ، توحى بأنه قد خلع تماماً لباس القيم الإسلامية وأصبح مغرباً متحرراً مندفعاً وراء الأهواء إلى أبعد مدى ، وهذا هو فن القصصى العالمى الذى يتطلع إليه المستشرقون من وراء البحر ، وهو ما يطمعون فيه وما يعدونه أملا كبيراً صوره هاملتون جى منذ الثلاثينات حين قال إن العرب لن يكتبوا القصة إلا حين تدخل الجريمة الجنسية فى مجتمعاتهم ، أما قبل ذلك فلن تنشأ القصة العربية .

ومن هنا كان فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ثمناً لهذه الصورة التى قدمها للأدب الغربى حافلة بجماع عيوب المجتمعات كلها من الإباحية الجنسية والإباحية الخلقيه وجلسات الحشيشة والخمر، وعبارات الشوارع النابية التى تترفع الألسنة عن نطقها وتأبى الأقلام أن تكتبها .

لقد أحس المحكمون أن القصة العربية قد أصبحت غربية روحاً ومادة لم تأخذ منهج الغرب فى كتابة الدراما ، بل قدمت أيضاً صورة تنبىء عن أن هذا الفساد الاجتماعى والخلق وغلبة الإباحية قد سيطرت على هذا المجتمع الذى رسمت صورته وكأنه حقيقة واقعة خلال أكثر من خمسين عاماً .

ولم يتوقف كتاب القصة العربية عند الجنس والإباحة وحدها ، وإنما ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك ، فقد تجاوزوها إلى السخرية من تراث الأنبياء فاضيفت إليه صورة جلسات الحشيش والخمر التى انتقلت إلى بيوت الأنبياء .

* * *

إن قبول الغرب لهذه الصورة وإعطاء الجوائز عليها ليس معناه أنها صادقة أو حقيقية ، وإنما هى بمثابة الشكر على قبول منهج الغرب حتى يقول أحدهم (هذه بضاعتنا ردت إلينا) .

ولقد يتفاخر أحدهم حين يقول إن الغربيين ترجموا مؤلفاته إلى لغاتهم ، يتردد هذا كثيراً فى مقولات عن طه حسين و توفيق الحكيم و نجيب محفوظ وغيرهم فيثير فى نفوس الشباب مظهر الإعجاب الكبير بمن اهتم الغربيون بترجمة مؤلفاته ولا بد أن يكون لهذا المترجم المكتوب أهمية كبرى حتى أنه يستحق أن يكون من الأدب العالمى .

ويقول أحدهم : إن هذه الكتابات فرضت نفسها فرضاً على المسرح العالمى ، وتلك أكذوبة مـ للة لا يصدقها إلا الذين يجهلون أو يتجاهلون حركة الاستشراق العالمى وما تريد أن تصبه فى أفق الفكر الإسلامى والأدب العربى من سموم ، وكيف تكافىء من يحققون هذا الهدف بترجمة مؤلفاتهم والمكافأة عليها .

إن الذين ترجموا هذه الآثار هم المستشرقون الذين يفاخرون بأن منهجهم فى الكتابة قد نقل إلى العربية وفرض على المسلمين ، وأن نصوصاً غربية فى الأسلوب وفى المضمون قد دخلت اللغة العربية ، وأخطر من ذلك أن منهج الدراما المسموم الذى رفضه المسلمون فى القرن الثالث الهجرى وأنكروه ، قد فرض عليهم اليوم ودخل إلى الأدب العربى وكتبت به مسرحيات من خلال مضمون غربى وافد فتوفيق الحكيم لم يعتمد فى كتاباته إلا مضامين الفكر الغربى المستمد من الفكر اليونانى الوثنى (فكر طفولة البشرية وعلم الأصنام) وما نقله من التوراة المكتوبة ـ لا المنزلة ـ عن أهل الكهف وسليمان الحكيم

وقد تجاهل تماماً وجهة نظر القرآن الكريم فى هذين الموضوعين واعتمد مقولة التوراة وأعمال كتاب الغرب ووجهة نظرهم ، ومن هنا فقد كان الإعجاب بآثاره فى الغرب بالغاً قدره ، وقد ترجموه ليقولوا إن بضاعتهم ردت إليهم وإن كتاب العرب المسلمين وباللغة العربية قد قبلوا مفاهيم علم الأصنام فى الأدب اليونانى وكل مايختلف مع القرآن الكريم الذى هداهم إلى المفاهيم الأصيلة بعد أن كشف عن أن كل ما جاء فى الكتب المقدسة عن تلك المواقع لم يكن من وجهة النظر الحقيقية إلى الأحداث .

* * *

وكذلك الأمر فى كتابات نجيب محفوظ التى فرضت أسلوب قصاص الغرب ومنهج فرويد فى الجنس ، وقدمت المرأة العربية بمفهوم المرأة الغربية التى تبيع جسدها من أجل الطعام مع أن المثل العربى يقول : (تجوع الحرة ولا تأكل بثديها) وهو يستمد هذا من التفسير الماركسى للمجتمعات فهو يخلط الفكر الليبرالى ، بالفكر الوثنى القديم ، بالفكر الماركسى ولا يجعل لمفاهيم الإسلام أى مكان فى مسرحياته .

ولم يكن ذلك جديداً على وجهة نجيب محفوظ ، فهو منذ تعرف إلى سلامه موسى وكتب فى المجلة الجديدة مقاله الخطير عام ١٩٣٠ تحت عنوان :

(احتضار معتقدات وتولد معتقـــدات)

وفيه يبشر بظهور بديل للأديان هو الاشتراكية والتطور الذى وصفه بأنه (الخالق الوحيد للاشتراكية وغيرها من الآراء والعقائد) وقد أشار إلى أن المعتقدات القديمة (أى الأديان) قد تضمنت أخطاء وخرافات لا يقبلها العقل بحال من الأحوال ، وأنه إذا خالط الشك النفوس فى معتقد ما وكان هذا المعتقد أساساً لمدنيته فقد آن الأوان لانهيارهما معاً ».

ونحن نأسف لأن نجيب محفوظ لم يعرف فى ذلك الوقت أن هذا الكلام منقول حرفياً من كتابات الماسونية والبروتوكولات ، وأنه يمكن أن ينطبق على أى حضارة أو عقيدة ولكنه لا يمكن بحال أن ينطبق على الإسلام الذى فتح آفاق حرية الفكر والرأى والقول ، وأنشأ المنهج العلمى التجريبى والذى أفسح فى قبول ودراسة ومراجعة كل أفكار الحضارات والمدنيات السابقة وأخذ منها ما لا يتعارض مع عقائده .

ولكن موضع الشاهد أن هذا هو منطلق نجيب محفوظ فليس غريباً أن ينتهى هذا بعد عشرين عاماً عن مثل (أولاد حارتنا) التى تكاد تصور هذا الاتجاه فى قصة خيالية تسخر بالألوهية والنبوة والغيب ورسالات السماء وكل الأنبياء والرسل .

رقم الإيداع / ٨٣٦٩/ ١٩٩٠